عنترة

فارسا وشاعرا



المؤلف

عبدالغني خماس

منشورات مكتبة دار الكتب العلمية

عنترة
فارسا وشاعرا

الطبعة الاولى
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

عنترة
فارسا وشاعرا

المؤلف
عبدالغني خماس

منشورات المكتبة العلمية - بغداد

الاهداء

الى روح والـــدتي، التي أبت ألا أن تحشرني في زمـــرة الفضلاء، وأن تبعدني عن أجواء الجهل والجهلاء..

الى لحدها المضمخ بالرحمات، أهدي هذه الكلمات . .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

عنترة . . . . الشاعر الفارس

توطئة «جزيرة العرب أرض البطولات» . .

ليست البطولات وقفاً على شعب دون باقي الشعوب ولا على أمة دون باقي الأمم.

ليست البطولات هبة توهب، ولا أعطية تعطى، ولكنها تكتسب من خلال الممارسة، والمعايشة في إطارها المحفوف بالمخاطر فلقد قدر لبعض الأمم أن تشتهر بالحروب والفتوح والأستبسال وقدر لأخرى أن تنهض بالعلوم والفنون، كما تهيأ المجال لبعض الشعوب أن تبدع بسن القوانين. . وهكذا فالظروف والبيئة هما اللذان يدفعان الانسان للأبداع في مجال من مجالات الحياة الكثيرة، والشعوب قد تنشط في جانب من جوانب النشاط الانساني دون الجوانب الاخرى فبيئة اليونان بذرت في نفوس سكانها بذور العلم والفلسفة لأن الطبيعة هناك ببحارها وغاباتها محاطة بالغموض مما دفعت الأنسان هناك أن يقف متسائلا ومتفلسفاً أمام ذلك الغموض.

أما الرومان الذين قدر لهم أن يحكموا أمماً شتى كان عليهم أن يبدعوا بسن القوانين واصدار التشريعات، لتكون لهم عوناً على الهيمنة التامة على كل الشعوب التي نشروا عليها سيادتهم.

أما الشرق الأدنى، فكان معداً لهبوط الوحي السماوي، فهذه البقعة المفتوحة، بسمائها ذات النجوم المتألقة وشمسها الساطعة، وبتلك القبة السماوية اللازوردية المرصعة بالنجوم، التي كانت مسرحاً لأخيلة الشعراء وإرهاصات الرسل والانبياء.

فهذه الصور الخلابة والالوان الأخاذة، كانت توحي بأن وراءها فنان أعظم، وخالق أسمى، لهذه كانت هذه المنطقة مهبط الانبياء وعرين الشعراء.

الى جانب هذا فقد عرفت جزيرة العرب بطولات شتى لأن البيئة وما يعتورِها من قسوة العيش، قد عودت الأنسان العربي على تحمل المشاق، فقد عودته على أحتمال الجوع والعطش لأن الصحراء، كانت دائماً معرضة للجفاف لقلة الامطار ونتيجة للجفاف فقد كان يعم القحط وتكثر المجاعات فالعربي قد عود نفسه على هذا، فهو بالنسبة آليه شيء مألوف وكذلك فقد أعتاد جسمه على تحمل شدة البرودة، ورياح السموم التي كانت تهب على جزيرته صيفاً، فقد تعود جسمه على ذلك فهو يتحمل زمهرير البرد، كما لا يهتم بالصيف القائظ.

والى جانب هذا فأن حياتهم الاجتماعية الضيقة، التي كانت تتمثل في القبيلة قد خلقت في مجتمعاتهم الحروب والغارات فكانت كل قبيلة متحفزة للأنقضاض على القبائل الاخرى خصوصاً اذا عم القحط، وبخلت السماء وقل الماء.

أذن حياتهم دائما في تحفز، أما للهجوم أو الدفاع، وهذا ما زرع في نفوسهم البطولات، وهيأهم دائماً للقتال والعراك، فوشحهم بوشاح الشجاعة والاقدام.

إن الانسان ابن بيئته، ولقد اكتسب الانسان العربي الشجاعة والمقاومة واليأس، من ظروف الحياة التي كان يحياها.

نعم كانت هناك مدن عرفت أنواعاً من الحضارات والاستقرار في هذه الجزيرة، ولكن الكثرة الغالبة من سكانها هم بدو رحل متنقلون، لا يستقرون في مكان ولا يحتويهم مجال.

أما أهل الحضر فهم قلة، الى جانب البداوة، التي كانت غالبة على القاطنين في شبه جزيرة العرب.

لهذا فان الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما أراد أن يقذف بآخر رسالاته السماوية الى الارض، لم يجد غير العرب مؤهلين لحمل هذه الرسالة، مؤهلين روحياً، لأن دين ابراهيم عليه السلام كان مستقراً في أعماق نفوسهم، ومؤهلين جسمياً، فالفارس العربي كان خفيفاً على صهوة جواده، لأن جسمه لم يكتنز باللحم

والشحم، كان فارعاً رشيقاً خفيف الحركة، وكان مندفعاً لا يهاب الموت، هذا الى جانب تحمله الجوع والعطش، فقليل من الخبز والتمر تمد الفارس والمقاتل العربي بالتحرك والضرب والطعن أياماً بل أسابيع.

وقد أجمع الخبراء العسكريون، على أن الدافع في سرعة الفتوحات الاسلامية الاولى كان سببها خفة المقاتل العربي، سواء أكان فارساً أم راجلا..

لأن الانتصارات في الحروب متوقفة على نشاط المقاتل وسرعة حركته، وهكذا كان المقاتل العربي، في جاهليته واسلامه.

لهذا أختار الله - سبحانه وتعالى - نبيه من العرب، وأختار المسلمين الاولين من العرب، هؤلاء الذين أستطاعوا ان يحملوا رسالة السماء، ويندفعوا بها صوب العالم المعروف آنذاك.

وأحب أن أشير هنا، الى حقيقة واحدة.

هذه الحقيقة، ان العرب لم يكونوا وثنيين بما تتضمنه هذه الكلمة من معنى. لم يعبدوا الاصنام على انها الهه. بل أتخذوها وسيلة للوصول الى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى «وما نعبدهم ألا ليقربونا الى الله زُلفىٰ».

وقوله تعالى على لسان العرب الجاهلين «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض، ليقولن الله».

أذن كانوا يعبدون الله الواحد الأحد الذي بيده كل شيء قال صاعد الأندلسي «وجميع عبدة الأوثان من العرب مُوحِّدة الله تعالى، وإنما كانت عبادتهم ضرباً من التدين بدين الصابئة تعظيم الكواكب والأصنام الممثلة في الهياكل».

وقد اعترف جميع العرب إن الله هو أكبر من كل الألهة الأخرى قال أوس بن حجر :

وباللات والعزى ومن دان دينها

وبالله إن الله منهن أكبر

وهذا النابغة الذبياني، ليعترف بأنه لا شيء وراء الله تعالى ولا هناك من هو أكبر منه قال:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة

وليس وراء الله للمرء مذهب

ولو أستقصينا الشعر الجاهلي، والخطب والحكم والأمثال، لتأكدنا ان الجاهلين كانوا يدينون بآله واحد.

وإن دين ابراهيم عليه السلام، كان قد علق في أعماق نفوسهم، ولو أتخذوا الأصنام وسيلة، للتقرب الى الله سبحانه وتعالى وأعترفوا بان الله واحد، وإنه خالق الخلق، وواهب النعم يقول عبيد بن الأبرص :

حلفت بالله، إن الله ذو نِعم
لمن يشاء، وذو عفو وتصفاح

كما يعلن زهير بن أبي سلمى، بأن الله عالم الغيب، ومطلع على الضمائر وأسرار النفوس.

فمن مبلغ الاحلاق عني رسالة
وذيبان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
ليخفى، ومهما يكتم الله يعلم

ويقسم آخر بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُحيي العظام وهي رميم قال :

أمـا والـذي لا يـعـلم السر غـيره
ويحيي الـعـظام البيض، وهـي رمـيم
لقـد كنت أختـار القـرى طـاوي الحشـا
محـافـظة مـن أن يـقـال لئـيـم

ويؤكد علاّف بن شهاب التميمي فكرة الحساب والثواب فيقول:

وعلمت ان الله جاز عبده
يوم الحساب بأحسن الأعمال

ولو تصفحنا ديوان الجاهلين لعثرنا عـلى نصوص أدبيـة تقـرّ التوحيد، وتعترف بآله واحـد لا شريك لـه، أما قصـة الاصنام والأوثان وعلاقتها بـالعرب الجـاهلين، فيحدثنـا عنها هشام بن محمد الكلبي، في كتابه الأصنام فيقول «وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الأوثان والحجارة، إنه كان لا يظعن من مكة ظاعن، ألا أحتمل معه حجراً من حجارة الحرم، تعظيماً للحـرم، وصبـابـة بمكـة، فحيثما حلوا وضعـوه، وطافـوا بـه كتـطوافهم بالكعبة، يتمُّنـاً منهم بهاوصبـابـة بـالحرم وحبـاً له. وهم بعـد

يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام».

إذن هذه هي الصلة ما بين العرب الجاهلين والاصنام لهذا كانت علاقتهم بهذه الأوثان والاصنام هزيلة.

فكثيراً ما كانوا يثورون عليها ويرمونها بالحجر، معترفين بانها لا تنفع ولا تضر.

يروى عن إمرىء القيس، إنه عندما أراد الثأر لابيه من بني أسد، وبينما كان سائراً بالجيش الذي جمعه نحوهم مرَّ بصنم يسمى «الخلَصَة» فاستقسم بالأزلام فخرج السهم وهو ينهيه عن مقاتلة الاعداء والثأر لأبيه فضربه بالسهام وأنشد:

لو كنت ياذا الخلص الموتورا   مثلي وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زُورا

وجاء رجل من بني ملكان الى صخرة طويلة، كان يتبرك بها وكان يطلق عليها أسم سعد، جاء يلتمس البركة لأبله فلما رأت الأبل ما على الصخرة من الدم نفرت وهربت، وتفرقت أشتاتاً، فأخذ الرجل حجراً، ورمى به الصخرة وأنشد:

أتينـا الى سـعـد ليجمـع شملنـا
فشتتنـا سعـد فـلا نحـن من سـعـد
وهل سـعـد ألا صخـرة بتنوفة
مـن الأرض لا يـدعي لـغي ولا رشـد

وهكـذا نجد ان العـلاقة الـروحية بـين الجاهـلي وهذه الأصنـام هي عـلاقـة واهيـة، كـانت تتـلاشى وتختفى لأوهى الاسباب.

أما علاقتهم بالواحد الأحد فكانت قوية، لأن أصولها تمتد في جذور عميقة، تصل ما بينهم، وبين ديانة ابراهيم التوحيدية.

لهذا عندما دعاهم الاسلام خفوا اليه، فدخلوا دين الله أفواجاً. لأن هذا الدين الجديد أنما هو نسخة من دين ابراهيم عليه السلام الذي أستكن في اعماق النفس العربية، واستقر.

وقد جاء ذكر الحنيفية بمعنى الاسلام، والحنيفية كانت في الجاهلية تطلق على ديانة ابراهيم قال عبدالله بم أنيس:

وقلت لـه خـذهـا بضربـة مـاجـد
حنيـف عـلى ديـن الـنبـي محـمـد

ولو كان العرب وثنيين ـكما يدعي البعض ـ لتأثروا تأثيراً مباشراً بالديانتين الموحدتين، النصرانية واليهودية، اللتين أنتشرتا في انحاء من الجزيرة العربية، لأن التاريخ حدثنا ان التوحيد أذا دخل مجتمعنا وثنياً، حوّله الى مجتمع موحد.

كما فعل دين الاسلام، عندما أجتذب الكثير من الشعوب والأمم الوثنية اليه كالفرس والمغول وغيرهما ولكن العرب أنفسهم كانوا موحدين، فلم يتأثروا كثيراً بأي دين موحد دخل الجزيرة العربية.

ونعود ثانية لنتكلم عن سر أسباب الشجاعة والبطولات التي عُرف بها أجدادنا.

لقد كان القوم في حروب متصلة فكان الغزو شريعة من شرائعهم لأنه كان بالنسبة أليهم ضرورة أجتماعية وحياتية فكانت حياة البادية بقساوتها وضراوتها وقلة أمطارها أحياناً تدفعهم الى أن يغزو بعضهم بعضاً.

ومن نظام الغزو، إنه كان لا يُسفك فيه دم ألا لضرورة وكانت قوانينهم معروفة في الثأر والديات، وملاحقة القتلة، والأقتصاص منهم، ولو طال الوقت.

ومن عاداتهم أنهم كانوا يختارون ظلام الليل لينسلوا الى اعدائهم ويباغتوهم، وينقضوا عليهم وقت السحر عندما تكون

الأجسام هامدة تغط في نوم عميق. فالغارة المبكرة - في رأيهم - لا تبقى ولا تذر.

وقد أهتموا بآلات الحرب، وتباهوا بحدة سيوفهم ونفاذ رماحهم، وصلابة خوذهم ودروعهم، لأنها هي التي توصلهم الى النصر.

وقد حدثنا الشعر العربي عن مضايقات الزوجات لأهتمام الأزواج بخيولهم وأفراسهم. فقد كانت الغيرة تأكل قلوب بعضهن من الخيول والأفراس. قال بعضهم رداً على لوم زوجته له بأعتنائه الزائد بحصانه (ثادق)

باتت تلوم على ثادق ليُشرى فقد جدّ عصيانها
إلا أن نجواك في ثادق سواء على واعلانها
إلم تعلمي إنه كريم المكبة مبدانها

الى آخر القصيدة التي يبين فيها بوضوح الحاح زوجته عليه أن يبيع حصانه «ثادق» لأن كثرة الأهتمام به قد أنساه أهتمامه بزوجته.

ومن مظاهر القوة والغلبة عند هؤلاء القوم، إن بعض

القبائل قد تسمت بأسماء الحيوانات القوية، كقبيلة أسد، وفهد وغير الحيوان كحجر.

وقد أطلقوا على أولادهم أسماء مشتقة من مسميات تدل على القوة مثل صفوان وخداش وحنظلة.

إن حياتهم كانت تدفعهم الى ذلك دفعاً.

فالطبيعة عندهم هي توأم الشجعان والأقوياء، أما الضعفاء والخوارون والجبناء، فلا مكان لهم في تلك البيئة القاسية التي لا تخضع ألا لذوي البأس والشدة. ومن عاداتهم أنهم كانوا لا يقتلون الجواسيس، بل كانوا يطلقون سراحهم ومن مزاياهم حبهم لأكتساب المفاخر والمحامد، لذا عرفوا بالكرم ونصرة الضعيف، واغاثة الملهوف وحماية الجار.

وفي غمرة حروبهم وكرمهم ونخوتهم، كانت ينابيع الشعر تتفجر في أعماقهم، لتنطلق منها جواهر الكلم، وتلك الصور البريئة البديعة، التي كانت تدل على سمو نفوسهم وأصالة تلك الاخلاق العالية، التي أستقرت في أعماقهم والشجاعة أصبحت سمة من سماتهم، لنستمع الى عنترة وهو يتحدى الزمن، ويستهين بالظروف، فما على الانسان ألا أن يكون متحدياً يقول:

إذا كشف الزمان لك القناعا
ومدَّ أليك صرف الدهر باعا
فلا تخشى المنية وأقتحمها
ودافع ما أستطعت لها دفاعاً
أقمنا بالذوابل سوق حرب
وصيرنا النفوس لها متاعاً
حصاني كان دلال المنايا
فخاض غمارها وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيباً
يداوي رأس من يشكو الصداعا
ولو أرسلت رمحي مع جبان
لكان بهيبتي يلقي السباعا
ملأت الأرض خوفاً من حسامي
وخصمي لم يجد فيها اتساعاً
اذا الأبطال فرت خوف بأسي
ترى الأقطار باعا او ذراعا

أي بطل لا يفرق قلبه من هذا الشعر الذي طعم بكل معاني القوة والبسالة والبطولة . . إنه شعر عنترة الذي كان يقذف

به قلوب مقاتليه، فيبعث فيها الخوف والرعب فتنهار أمامه إنهيار الذبيحة أم جزارها.

كان يملأ أسماع من نياز لونه بمثل هذا الكلام المرعب فترتجف في أياديهم السيوف، وتتهاوى من أكفهم الرماح وهم يستمعون الى تلك العواصف والرعود من الكلام.

كان الشعر ينطلق من مشاعر صادقة، وينبجس من روح صلبة عنيدة، أما نفوسهم فكانت لا تخضع ألا لبارئها.

لا تسقني كأس الحياة بذلة
بل فأسقني بالعز كأس الحنظل
إن الحياة بذلة كجنهم
وجهنم بالعز أفضل منزل

كان صاحبنا عنترة من هؤلاء الرجال، بل هو من الصفوة من هؤلاء الرجال. أسمعه ينشد:

أذا أشتغلت أهل البطالة بالكأس
أو أغتبقوها بين قُس وشماس
جعلت منامي تحت ظل عجاجة
وكأس مدامي قحف جمجمة الرأس

وصـــوت حسـامي مــطربي، وبــريقــه
إذا أسـود وجـه الأرض بـالنقـع مقيـاسي

قبيلة عبس:

كانت قوية، فكانت من جمرات العرب فأنطفأت.

يرى العلامة ابن خلدون «ان بني عبس أنتقلوا من نجد، ولم يبق فيه منهم أحد».

وذكر البتانوزني المصري في «الرحلة الحجـازية» إن قبيلة عبس كانت الى القرن الثـامن الهجري قـوية، ولكنهـا راحت تعتدي على جاراتها، فنقم العرب عليها، وأوقعوا بها، وتشتت شملها» ولكن دون شك، إن حرب داحس والغبراء قد أضعف هذه القبيلة، فلم يعد لها شأن يذكر في الاسلام.

وقد نبغ عنترة في هذه الحرب.

رُويت عـدة أسباب في حـرب داحس والغـبراء، ولكن أكثرها شيوعاً هي، ان سبب الحرب، كان عقب سباق أقيم بين «داحس، وهو حصان لقيس بن زهير العبسي، «والغبراء» وهي فرس لحذيفة بن بدر الذيباني.

وكان المفروض ان يكون الرابـح هو داحس، لـولا أن تعرض له في الطريق جماعة من ذيبان، وردوه عن طريقه، وعلى أثر هذا كان الفوز للغبراء.

بسبب هذا قامت الحرب بين عبس وذبيان ، ودامت أربعين سنة، حتى أنتهت بعد أن قام كل من هرم بن سنان والحارث بن عوف بدفع ديات القتلى عن الطرفين، فأنتهت تلك الحرب الضروس.

وقد خلد الشاعر زهير بن أبي سلمى هذين الشريفين في معلقته المشهورة، التي وصف فيها تلك الحرب وصفاً دقيقاً ذاكراً ما خلفته تلك الحرب من أيتام وآيامى ومآسي، وقد أثنى الثناء كله على هذين الرجلين، وخاصة هرم بن سنان قال مشيراً الى مساعيهما.

تداركتما عبساً وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
فاصبحتما منها على خير موعد
بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هُديتما
ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

وقد أستنفذت هذه الحرب الجهود، وذهبت بأفاضل الرجال وأقوى الشباب، وقد جاءت هذه الحرب عقب أنتهاء حرب البسوس المشهورة.

وقد عدّ الـدكتور فليب حتى شخصيـة عنترة في حـرب داحس والغبراء، كشخصية «أخيل» في حروب اليونان وقرطاجة والتي سجل أمجاده الشاعر هوميروس في الياذته الخالدة.

عنترة في سجل التاريخ:

لقد شهد تاريخ العرب صوراً من البطولات والابطال، وكان عنترة أحد اعلام الجاهلين، إذ كان مثالا للفتوة العربية قبل الاسلام، وعلم شامخ من اعلام البطولات «قرم عارم، وبطل قاحم، تنقست عنه أرباص نجد، فاذا لأسمه دوي دونه هزيم الرعد».

أنطلق هذا الأسد الهصور، والفتى الجسور يصور بطولاته وألفته وأنسانيته، وحبه لأبنة عمه «عبلة» يصور كل ذلك بشعر ترقص له القلوب طرباً أذا ما تغزل، وتنخلع منه الأفئدة خوفاً أذا ما توعد وهدد. ويكفيه فخراً وشرفاً ما حكاه أحمد بن عبدالعزيز الجوهري قال: «حدثنا عمر بن شعبه قال: حدثنا أبن عائشة قال: أنشد النبي (ﷺ) قول عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله

حتى أنال به كريم المأكل

فقال (ﷺ) ما وصف لي إعرابي قط، فأحببت أن آراه الا عنترة» أذن لا مراء ان عنترة كان أشهر فرسان العرب في الجاهلية وأبعدهم ذكراً، وألا لما نال إعجاب الرسول (ﷺ)..

فمن هو عنترة؟

هو عنترة بن عمرو بن شداد، وقد غلب أسم جده على أسم أبيه وأما ألقابه وكناه فكثيرة منها، عنترة الفلحاء لتشقق شفتيه وأبو المغلس، وأبو المعايش، وغيرها.

نشأ كما ينشأ البدوي في صحرائه، بعيداً عن ترف المدينة وصخب الحضارة، فاكتسب القوة في جسمه، والصفاء في روحه، والنبل في أخلاقه، فلم تلوثه الحضارة بما تحمل في طياتها من أوضار، والصحراء الى جانب قساوتها لا تخلو من جمال وإشراق.

انها دنيا تسبح فيها أخيلة الشعراء، وتهيم في سمائها الصافية أحداقهم، فتحت قبة سمائها أنبعثت أرق الانغام وأعذب الأشعار.

وهاهو صاحبنا عنترة يصدح بحبه لأبنة عمه فيرسل الأهات ويصور رجولته كاصدق ما يصورها شاعر.

إن البادية عـالم بكر تتغامـز في سـمائها الأنجم الـزهر، ويتهادى القمر في سمائها الصافية كأنه حبيب مأخوذ يبحث عن حبيبته. ومن هذا الخليط من القوة والجمال والقسوة والوداعـة والحـرمان والحب تكـونت شخصية شاعرنـا عنترة بن شـداد العبسي.

ولـد هذا البـطل في الربـع الأول من القـرن السـادس الميلادي، من أب شريف في قومه، وأم أمة سوداء.

وكان السائد في قبائل العرب ان ابن الأمة لا يلحق بنسب أبيه، ألا أذا قدم للقبيلة خدمات عظيمة، كأن يكون أحد أبطالها المنافحين عن شرفها وحريتها.

ولقد لاقى صاحبنا في أول حياته العنت الشديد من ابيه وكذلك من زوجة أبيه «سُمية».

وأظن ان ما روي عن أضطهاده والسخرية منه، هو أمر مبالغ فيه، لجأت اليه العامة لتضفى على شخصية صاحبنا المزيد من الصفات الانسانية الطيبة، وبالتالي ليحيطوا الشاعر بهالة من التسامح والإباء والصبر.

وأخيراً يعترف أبوه ببنوته، وذلك بعـد أن أغارت قبيلة طيء على بني عبس، وكان عنترة مع قومه مشـتركاً في الـدفاع ولكنه كان دفاعاً يشوبه الفتور، حتى أشتد الخطب على عبس،

وكاد أن يهلك رجالها، وأن تستاق النساء سبايا. وعند ذاك هتف أبوه به، إن كرَّ يا عنتر، فأجابه: العبد لا يحسن الكر، إنما يحسن الحلاب والصر. فهتف أبوه ثانية كرَّ وأنت حر.

فكرّ عنترة يملؤه الفخار والزهو.

وما هي ألا حملات فاصلات يحملها عنترة على أعدائه حتى يحسم الموقف عن أنتصار عبس على طيء.

أجتمعت القبيلة واحتفلت ببطلها وحامي ذمارها الفارس عنترة ين عمرو بن شداد، وليثها المناضل عن حقوقها والمدافع عنها وقت الأزمات.

ومن أسباب أنتصارات عنترة المتتالية، إنه الى جانب قوته وشجاعته كان ذكياً، فهو يتجنب المزالق، ويتحاشى المهالك ويحجم إذا رأى الاحجام حزماً، ولا يتقدم الى مكان ألا ورسم كيف يخرج منه وقت الأزمة، لذلك لم يستطع أحد أن ينال منه شيئاً.

وثمة سبب حبّب عنترة بالبطولات، هو حبه لأبنة عمه «عبلة» التي ملكت عليه شغاف قلبه، وأسرته بحبها ولطفها وأنوثتها، فأراد ان يقدم لها الدليل على أن لون وجهه وسواده لم يحولا دونه ودون جلائل الاعمال. فراح يخوض المعارك، ويجندل الابطال، ويشق الهام، وصورة عبلة الحبيبة لا تفارقه حتى في أحلك الأوقات.

هل تزوج عنتر بعبلة؟

يذكر الاستاذ عمرالدسوقي في كتابه «القتوة عند العرب» إن مالك والدعبلة وعمر أخاها أبيا أن يزوجا عبلة من عنترة وظل كل منهما يمانع في ذلك، حتى تزوجت أخيراً بأحد أفراد القبيلة.

وربما ان الدسوقي قد حكم بهـذا الحكم قياسـاً على ان العرب كانوا لا يزوجون بناتهم لمن يشبب ويتغزل بهن، كما هو الحال في نهاية جميل وبثينة، وكثـير عزة.

والذي أذهب اليه، ان عنترة قد تزوج بعبلة لأسباب . . .

ان عبلة كانت معجبة بفارسها، وكانت تبادلـه الغرام، وتود ان يكون لها بعلاً.

والشيء الثاني ان عنتر أصبح سيداً من سـادات قومـه، وبطلا من ابطال قبيلة عبس، فكل أب ـ والحالة هذه ـ يتمناه صهراً وكل انسان يرضاه صديقاً وقريبا. وما اظن ان مالكا ظل يمانع بعد أن وصل عنترة الى مرتبـة البطولـة، بل أصبـح فتى القبيلة، وبطلها الذائد عن حماها.

الأمر الثالث: ان عنترة الرجـل العفيف، ظل يتغـزل بعبلة طوال حياته، ولو انها تزوجت من غيره، لكف عن هذا الغزل لانها أصبحت حليلة غيره، وكما نعرف عن اخـلاق عنترة انه كان يربأ بنفسه ان يعتدي على الحليلة والجارة وهو القائل:

أغشى فـتــاة الحـي عـــنـد حليـلـهـا
فـاذا غــزا في الجـيش لا أغـشـاهـا
وأغض طـرفي ان بـدت لي جـارتـي
حـتى يـواري جـارتي مـأواهـا

أن عنترة كان يكرم المرأة أشد التكريم، فلا يبخس لها ثمناً ولا اعتدى على أنوثتها، وهذا شأن كل فارس
لهذا فلا يستبعد أنه تزوجها وعاش معها فترة من حياته.

دفاعه عن اللون الاسود:

ولد شاعرنا أسود البشرة، أذ كانت أمه «زبيبة» أمة حبشية سباها أبوه في أحدى الغزوات واستولدهاعنترة وما كان اللون في يوم من الايام ـ سبباً في رفع الانسان أوخفضه، وقد قال رسول الله (ﷺ) لا فضل لأبيض على أسود ولا لعربي على أعجمي ألا بالتقوى».

ولكنه الحسد كان ينخر في قلوب حساده، بعد ما ظهر منه من قوة ومضاء، وخلق وأنسانية، فحاولوا أن يجدوا له منقصة فلم يروا ألا لونه الاسود، فراحوا يعَيبونه به، ولكنه لا يسكت بل يرد عليهم رداً مخرصاً فيقول:

وإن أك أسوداً فالمسك لوني
ومالسواد جلدي من دواء
ولكن تبعد الفحشاء عني
كبعد الأرض عن جو السماء

ويرد كذلك على فعال وخصال من كانوا يعيبون عليه سواده فيقول:

يعيبون لوني بالسواد وإنما
فعالهم بالخبث أسود من جلدي

ومرة اخرى يشير عنترة بشعره الى أن فعاله العظيمة وخصاله الكريمة فهي حرية أن تسدل الستار على ذلك اللون.. يقول:

تعيرني العدا بسواد جلدي
وبيض خصائلي تمحو السوادا
سلي يا عبل قومك عن فعالي
ومن حضر الوقيعة والطرادا

وكان عنترة لايني يكرر ويعيد بأن الأصل هي الفعال لا الألوان ولا ألاجسام، يقول:

ومن قال اني أسود ليعيبني
أريه بفعلي انه أكذب الناس

وهكذا فقد رأى شاعرنا ـ بسديد رأيه وثاقب نظره ـ إن الاصل في الانسان ليس بطوله ولا شكله ولا لونه، بل الاصل في فعاله وأخلاقه، وما يقدمه لقومه من خدمات فكثيراً ما تعجب بالرجل الضخم الجثيث، ولكنك أذا فتشت عن فعاله لم تر له شيئاً منها. . ورحم الله المتنبي أذ يقول:

أعـيـذهـا نـظرات مـنـك صـادقـة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
ومـا أنتفـاع أخي الـدنيـا ينـاظـره
إذا أستـوت عنـده الأنـوار والـظلم

وقد يجلب أنتباهك الرجل الأنيق، الذي تدثر بأغلى الثياب، ولكنه أذا ما تكلم بدا على حقيقته جاهلا. ورحم الله القائل:

وكـــائن تـرى من صـــامت لـك معجب
زيـــادتـــه أو نـــقـــصـــه في الـــتـــكـــلـم
لـســـان الفـتى نصـف، ونـصـف فـؤاده
ولم تـــبـق ألا صـــورة الـــلحـــم والـــدم

بهذا الميزان العظيم كان عنترة يزن الرجال، بميزان الأفعال والأخلاق السامية، لا ميزان الأشكال والألوان.

نهايته:

لقـد وردت روايات كثيرة، كلها تشير الى نهاية هـذا البطل، وكلها مجتمعة على أنه كان من المعمـرين، فقد بلغ أو جاوز عمره التسعين عاماً، إذ كانت حياته ما بين ٥٢٥ ـ ٦١٥م وقد ذكر هو نفسه بان عمره قد طال قال:

فـما أوهـى مـراسي الحـرب ركـني
ولـــكـــن مـــا تقادم مـــن زمـــاني

وقد ذكر صاحب الأغاني، ان عنـترة أغار مـرة على بني

نيهان من طيء، وطرد لهم طريدة وهو شيخ، وكان وُزْر بن جابر النبهاني في فتوة فرماه، فقال: خذهـا وأنا أبن سلمى، فقطع مطاه -ظهره-، ولكن عنترة تحامل بالربية، حتى أتى أهله وقال:

إن ابـن سلمـى عنـده فـاعـلمـوا دمي
وهيهـات لا يـرجى أبن سلمى ولا دمي

وقـال ابن الكلبي، وكان الـذي قتله يلقب؛ بـالأسـد الرهيص وذكر أبو عبيدة، أنه قد أسن وأحتاج وعجز، وكان له دين على رجل من غطفان بكر، فخرج يتقاضاه، فهاجت عليه ريح فقتله فوجد ميتاً.

على ان الرواية المتداولة، انه مات مقتولا، إثر رمية السهم التي وجهها اليه، الملقب بالأسد الرهيص.

ولقد أراد الناس لهـذا البطل ميتـة كريمـة تليق بمقامـه، فاطلقوا العنان للخيال لينمق صورة هي أقرب الى الخيال منها الى الواقع، فصوروا ان عنترة خرج مع جيشه محاربـاً فلما أصابـه السهم المذكور سابقاً، بقى جالساً على صهوة جـواده فاسحـاً المجـال لجيشه بـالأنسحاب من المعـركة فلم يتقـدم أحـد مـ الأعداء، لأن الكل كان يهابه.

فلما طال الأمر شك الأعداء بالأمر، فضربوا الجواد بحجر فتحرك فسقط عنترة وقد فارق الحياة.

يروى إن الشاعر الفرنسي الكبير «لامرتين» كان مُعَجباً كل الاعجاب بشعر عنترة، وبنهايته هذه التي لا تخلو من بطولة وإيثار.

ودون شك إنها قصة نمقها خيال المأخوذين بهذا البطل الفذ، وقد أستوحوا صورها من حكايةموت النبي سليمان ابن داود أمام عُمّاله من الجن والسحرة، قال تعالى:

«فلما قضينا عليه الموت، مادلّهم على موته ألا دابة الأرض تأكل منسألة، فلما يتيقن الجن، إن لو كانوا يعلمون الغيب، ما لبثوا في العذاب المهين».

وبهذه النهاية العظيمة أنتهى فارس عظيم من فرسان العرب الصناديد، الذين ملأوا الدنيا بطولات وأناشيد:

إيها المطرب الحماسي مرحى
اشعلن اللحون تفديك نفسي
وأجمع السيف والتسيب فقدماً
رام لثم السيوف شاعر عبس

شاعريته :

كما أنقض عنترة على عالم البطولات، وجال في سوح الوغى، فقد سما في سماء الشعر، وحلق في أجواء عالية مطارحا الأفلاك، ومساجلا الأقمار والشهب.

لقد دانت له دولة الشعر، كما ذلت لح سوح الوغى وميادين القتال.

لقد تفجرت شاعرية هذا البلبل، يوم أسترد حريته. لقد كانت العبودية التي لازمته فترة من حياته، وقد خيمت بغيومها السوداء الحالكة على حياته، فوصمتها بالهوان والذل.

وأنى للبلبل الحبيس أن يغرد ويشدو؟. فقد أنعكست أشباح العبودية على عواطفه ومشاعره، فاضحت متبلدة.. ولكن ما أن وُهبَ الحرية واصبح كباقي الرجال حتى تفجرت في مشاعره ينابيع الشعر، وراح يترنم بالأناشيد العذبة، خاصة تلك الاشعار الملتاعة، التي كان يصف بها حاجبه وشوقه لإبنة عمه «عبلة».

ويروى ان من أسباب قول عنترة الشعر، ان رجلا من بني عبس عيّره بأنه عاجز عن قول الشعر، فحز في نفسه ذلك، وصمم ان ينظم القصائد، وأول قصيدة قالها هي معلقته

هل فادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم

وهذا كلام هراء، لا يخضع لمنطق النقد، فهذا الفتى بما ركب في طبعه من صفاء ورقة وجلاء، قد رشح ليكون شاعرا، والذي فتق قريحته يقول الشعر، هو حبه لأبنة عمه، التي كانت نيران الوجد تشتعل في جوانبه حباً لها وهياماً بها.

ويمتاز شعر عنترة ـ وخاصة الغزل منه ـ بالرقة والسلاسة فالفاظه مشرقة، يكاد ضوؤها يبعث في النفس الأهتزاز والحبور، أستمع وهو يتغزل بألفاظ رقيقة وصور أنيقة ليس فيها من غريب اللفظ وحوشي الكلام ما يفسدها يقول:

دار لآنسه غضيض طـرفـهـا طـوع العنـاق لـذيـذة المتبسم
أذ تستبيك بذى غروب واضح عـذب مقبله لـذيـذ المطعم
وكـأن فارة تـاجـر بقسيمة سبقت عوارضها اليك من الفم

ما احيلى تلك الغانية الحبيبة، التي لا ترفع عينها خجلا، ليست مُمنعة على من يحبها، فقد تهيم بها وبذلك الفم العذب

الذي يخيل لمن يقبله بأن زجاجة من عطر قد سكبت فيه وقد يضطر أحياناً ـ وخاصة عند الوصف ـ أن يستعمل الفاظاً غريبة، وصوراً ليس من السهل تصورها وأستجلاء ألوانها، ولكن على كل حال فأن شعر عنترة بعيد كل البعد عن إنماط الشعر الجاهلي من حيث رقة اللفظ وجرسه وبساطة المعنى وسهولته.

وسيظل ميراث شاعرنا الشعري ذخيرة مضافة الى رصيد الشعر الجاهلي، لأنه أمتلك زمام الشعر، وراح يتصرف في فنونه تصرف القدير الحاذق، والجدير السابق في أشواط الشعر والتعبير.

جاء في العمدة لابن رشيق قال الأصمعي عن أبن أبي طرفة قال:

«وكفاك من الشعراء أربعة، زهير أذ رغب، والنابغة أذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة أذا كلب» ولكن علينا أن نعلم إن أكثر شعر عنترة قدافسده الرواة بالتحريف والتزيد، ونسبو اليه من الشعر ما لم يقله، وسبب ذلك إن العامة قدلهجوابذكره، واعتبره بطلا قومياً فأحبوا أن يسمعوا عنه كل شيء بطولي، ولو كان خرافياً أو خيالياً.

لهذا فقد نُسب اليه من الشعر ما لم يقله، وما لم يتسق

وشاعرية عنترة، فكما نسبوا الى قيس بن الملوح كل شعر غزلي، لأنه شهر بالغزل وحبه لأبنة عمه ليلى. كذلك نسبوا الى عنترة كثيراً من الاشعار التي تغنت بالبطولات والمروءات، حقاً ان شاعرنا قد تحرر من بعض القيود التي كان يرسف بها الشعر الجاهلي، فاتسم شعره بالرقة والوضوح، فلم يسلك مسالك الشعر الجاهلي الذي كان يميل الى فخامة الألفاظ، وخشونة المعاني، ووعورة الوصف. ولكن مع هذا فأنه شاعر جاهلي أذ كان شعره يحمل جرثومة الشعر الجاهلي.

لقد أختلف النقاد في تقييم شعر عنترة، فمنهم من عدّة في الطبقة الاولى، كما ذهب صاحب كتاب «الاعلام» ومنهم من أنزله الى الطبقة الثالثة، كما يشير الى ذلك الاستاذ المرحوم الزيات في كتابه «تاريخ الادب العربي» فهو في هذا يماشي الاقدمين إذ جعلوا الشعراء الجاهلين ثلاث طبقات أمرؤ القيس وزهير والنابغة، وهم رجال الطبقة الثانية، أما رجال الطبقة الثالثة فهم عنترة ودريد بن الصمة، وأمية بن أبي الصلت.

وفهم من عده في الطبقة السادسة.

ولقد اعترف الكثيرون أن معلقة عنترة هي أجود من كثير من المعلقات.

وفمهما يكن من شتى، فسيبقى شعر عنترة دوّياً هائلا في حيّز الشعر العربي، وسيتخذ دائماً محفزاً أذا ما أدلهمت الخطوب، ولاحت في الأفق أخطار الحروب.

باقة من أشعاره

لقد سبق القول، إن معلقة عنترة تعتبر من المعلقات الشهيرات، بل عدها بعضهم من أنفس المعلقات، لذا سنبدأ بها عارضين ومحللين. قال:

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم؟
يا دار عبلة بالجواء تكلمي
وعمي صباحاً دار عبلة وأسلمي
فوقفت فيها ناقتي وكأنها
فدن لأقضي حاجة المتلوِّم
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا
بالحزن في فالصمان فالمتثلم
حُييت من عهد تقادم عهده
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
حلت بأرض الزائرين فأصبحت
عسراً على طلابك أبنة مخرم
علقتها عرضاً واقتل قومها!
زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم

ولـقـد نـزلـت فـلا تـظني غـيره
مني بمـنـزلـة المـحـب المـكـرم

شرح الأبيات:

يتساءل في البيت الأول مستغرباً، لأن الشعراء قبله لم يتركوا مجالا ألا وقالوا فيه، فهم لم يتركوا شيئاً لمن جاء بعدهم. وهذا دليل على كثرة الشعر والشعراء قبل شاعرنا عنترة بن شداد العبسي.

إنها ذكريات عزيزة على نفسه أفرغها في هذه الابيات ذكريات أذكتها رؤية دار الحبيبة، وما أثارته في نفسه من حنين وشوق.

أنه يسلم على الدار ومن في الدار، فوقف بناقته يترقب الآثار والأوقات الحلوة التي قضاها مع المحبوبة في تلك الربوع. ولكن هل تحييه الدار أو ترد عليه السلام؟ ثم ينتقل فجأة ليتكلم عن هذه التي أحبها صدفة، إنه ليتعجب، كيف يجمع بين حبها وقتال أهلها؟ أيمكن أن يجتمع الحب والضراوة والقتال في قلب رجل، لا لايمكن أن يكون هذا بل هو الحب الذي يدفع الكره ويحيل الظلام الى نور والبعاد الى صفاء ووداد. أذن فقتال أهل

الحبيبة إنما هو زعم لا حقيقة.

وبعد وصف دقيق لناقته، يطلب من المحبوبة أن تفتخر بهذا الحبيب الذي حوى الصفات العظيمة والمزايا الكبيرة فيسألها أن تمتدحه بما يمتلكه من مزايا وصفات فيقول:

إثني علـيَّ بمـا علمـت فـأنـني
سـهـل مخـالـطتي إذا لم أظـلم
فـاذا ظلمت فـأن ظـلمي بـاسـل
مـر مـذاقتـه كـطعم الـعلقـم
ولـقـد شربت مـن المـداحـة بعـدمـا
ركـد الهـواجـر بـالمشـوف المعلم
بـزجـاجـة صـفـراء ذات أسرّة
قـرنت بـأزهـر في الشـمال مقـدم
فـأذا شربـت فـأنـني مـسـتـهـلك
مـالي، وعـرضي وافـر لم يـكـلم
وأذا صـحـوت فـما أقصر عـن نـدى
وكـما علمت شـمائـلي وتـكـرمي

شرح الأبيات :

أمدحيني بما أنا أهل له ، فأنى سهل ووديع أذا لن يعتدى عليّ أما أذا ظلمت ، فسأرد على هذا الظلم بما هو أقسى منه وأشد مرارة .

ثم أنتقل الى وصف حياته وترفه ، فأنه يشرب الخمر ليل نهار بكأس مجلوٍ فيه كتابة أو رسوم وبكأس ملون ذي خطوط كانت مقرونة الى كأس أخرى تبرق لشدة صفائها وقد علاها المصفى الذي يمنع الشوائب أن تمتزج بالخمرة الصافية . وكل هذا دليل على ترفه ، وتمتعه بحياته .

ثم يهتف ثانية محاولا أن يجدد ننشاط حبيبته عبلة لتصغي اليه ، ولتسمع أخباره من الرواة والمعجبين . يقول :

هلا سألت الخيل يا أبنة مالك
إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سايح
نهد الكماة تعاورْ مُكلم
طوراً يجرد للطعان وتارة
يأوى الى حصد القسي عرمرم

يخبرك من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى، وأعف عند المغنم

ومدجج كره الكماة نزالة
لا ممعن هرباً ولا مستسلم

جادت يداي له بعاجل طعنة
بمثقف صدق الكعوب مقوم

فشككت بالرمح الأصم ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرم

فتركته جزر السباع ينشنه
ما بين قلة رأسه والمعصم

لما رآني قد نزلت أريده
أبدى نواجزه لغير تبسم

شرح الابيات:

اسالي الخيل يا أبنة مالك اذا كنت جاهلة بأخباري وأنا أقاتل الأعداء، وأكرُّ عليهم كرَّ الأسد الهصور فأن لا أغادر صهوة جوادي، ذلك الجواد الخفيف الحركة القوي الذي داهمه الابطال من كل جانب، فالجروح قد كثرت على جسمه، ولكنه مع هذا يكر ويفر.

فتارة أتقدم به للطعان ومقاتلة الاعداء، فيصاب بطعنان وأخرى يتعرض الى القسي الكثيرة القوية.

أنك ستعلمين ممن شهد الحرب معي أنني لست بهياب وجل بل أني أخوض غمار الحرب، فاذا ما كسبت منها شيئاً، عفت نفسي أن تنال أو تأخذ من مغانمها.

وكم من بطل تحاشاه الابطال لقوته وجبروته، وجودة سلاحه، لا يفكر أبداً بالهروب والاستسلام، صوبت اليه طعنة من رمح قوس مستقيم، فتركته مجندلا يتخبط بدمه فالأبطال والكرماء هم دائماً طعم للسيوف والرماح. فتركته في الخلاء طعاماً للوحوش ينهش جسده وقد علم بمصيره، لأنه عندما رأني قد هممت بمنازلته فغرفاه فزعاً مني، وبدت نواجذه لا لأنه كان يضحك فرحاً، بل كان حائراً وخائفاً.

لما رأيت القوم أقبل جمعهم
يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر في لبان الأدهم
مازلت أرميهم بغرة وجهه
ولبانه حتى تسربل بالدم

نـأزور مــن وقــع الـقــنــا بـلـيــانــه
وشــكــا الى بــعــيرة وتحــمــحــم
لـو كـان يــدري مـا المحــاورة أشتكى
ولــكــان لــو عـلم الـكــلام مكلمي
ولـقــد شفـى نفسي وابرأ سـقـمـهـا
قيــل الفــوارس، ويــك عنــتر أقــدم
ولـقــد خشيت بــأن أمــوت ولم تـكن
لـلحــرب دائــرة عــلى أبني ضـمـضـم
الـشــاتمــي عــرضي، ولم أشــتــهــا
والــنــاذريــن أذا لم ألــقــهـــا دمــي
أن يـفـعــلا فــلقــد تــركـت أبــاهمــا
جــزر الـسـبــاع، وكــل نسر قـشـعـم

شرح الأبيات:

عندما شاهدت القوم مندفعين يحض بعضهم بعضاً على القتال وكل فئة تشجع الأخرى، هاجمتهم ولم أتوانى عن قتالهم فأكون في عداد المذمومين.

الكـل يستغيث ويستنجد، في وقت أشتـدت فيه لظى

الحرب حتى كانت الرماح تلوح اليك في صدر الفرس وكأنها حبال بئر ممدودة.

فرحت أتقدم وأرمي الأعداء بوجه حصاني وصدره، حتى تلطخ وجه الحصان وصدره بدماء القتلى.

فانحرف حصاني بصدره عن الرماح المنهالة، وراح يبث شكواه ومرسلا الدموع والآهات.

ولو كان يعرف المحاورة لا شتكى كلمني، طالبا مني ان أبعد عن هذا الموت الزؤوام.

والذي اراحني وأثلج صدري، وجعلني لا أهتم لهذه الحرب ان الفوارس كلهم كانوا يستنجدون بي.

وكنت أخاف أن أموت ولا انتقم من ولدي ضمضم وهما هرم وحصين، وكان عنترة قد قتل أباهما فكانا يتواعدان ويهددان، وقد قتلهما ورد بن حابس العيسي.

فان لهما الحق عندما يتوعدان ويهددان، لانني تركت أباهما مُجندلا وغداء لكل سبع ونسر.

وقال واصفاً تعجب عبلة من هيئته

عجبت عبيلة من فتى متبذل
عاري الأشاجع شاحب كالمنصل
شعث المفارق منهج سر باله

لم يـذْهـن حـولا ولم يـترجـل
لا يكتسي ألا الحـديـد إذا أكـتسى
وكـذاك كـل مغـاور مـسـتبـسـل
قـد طـالمـا لـبس الحـديـد فـأنما
صـدأ الحـديـد بـجـلده لم يُغسـل
فـعجـبت منهـا حـين زلت عـينهـا
عـن مـاجـد طلق الـيـدين شـمـردل
لا تصرميني يـا عـبـيـل وراجـعـي
فيَّ البصـيرة نـظرة المـتـأمـل
يـا عـبـل كـم مـن غـمـرة بـاشرتهـا
بـالنفس، مـا كـادت لعمـرك تتجـلى
إمـا تـريـني قـد نـحلت ومـن يكـن
غـرضـاً لأطـراف الأسـنـة ينـحـل

شرح الابيات:

لقد تعجبت الحبيبة بعد أن رأت تبذلي، وعدم أهتمامي بنفسي إذ رأتني هزيلا كأنني حديدة السيف. أما كنت أشعث أغبر، لم يعرف المشط طريقاً الى رأسي،

سروالي ولباسي فقديم مهترىء، لم اتجمل ولم أفارق صهو جوادي فترة طويلة.

لا ألبس الأعدة الحرب والحديد، وهذا شأن كل بطل باسل. ولكثرة ما كان يرتدي عدة الحرب، فأن صدأ الحديد لاصق بجلده وإني لأعجب من عبلة أذ ابعدت ناظرها عني، وأنا الماجد الكريم الشجاع «شمردل: طويل».

لا تهجريني يا عبلة، بل راجعي العقل، بعد أن تتأملي ملياً في قرارك، فمثلي يا عبل لا يفرط به.

إذا راجعت العقل فستجدين إنني في نزال مستمر مع الاعداء لا أكاد أنتهي من غمرة حتى أدخل غمرة أخرى، فما يكاد تنجلي غبار حرب، حتى تهب حروب أخرى وهكذا دواليك لهذا رأيتيني نحيلا ضعيفاً أشعثاً، لأن من يكن غرضاً للسيوف والرماح لابد أن يهزل وينحل

يوم الفروق

الفروق وادي باليمامة، وكانت حرب قد وقعت هناك بين عبس وبني سعد، وكانت الغلبة لبني عبس، فأنشد عنترة أبياته هذه مفتخراً بهذا الأنتصار..

ألا قــاتــل الله الــطلول الــبــوالــيــا
وقاتل ذاكــراك الــســنــين الخــوالــيــا
وقــولــك للشيء الــذي لاتــنــالــه
إذا مــا هــو أحلوى، ألا ليت ذاليا
ونـحن منعتـا بـالفـروق نـسـاءنـا
نـطرق عنهـا مشعـلات غـواشيـا
ونـحـفظ عـورات الـنـســاء ونتقى
عـليهـن أن يلقـين يـومـاً مخـازيـا
أبـينـا أبـينـا أن تـضـب لـثـاتـكـم
عـلى مـرشفـات كـالضيـاء عـواطيـا
وقـلت لمن قـد أخـطر المـوت نـفسـه
ألا مــن لأمــر حــازم قــد بــدالــيــا
وقـلت لهـم ردوا المـغـيرة عـن هــوى
ســوايقـهـا وأقـبـلوهـا الـنـواجـيـا
وأنـا نـقـود الخيـل تحكى رؤوسـهـا
رؤوس نساء لا يجـدن فـوالـيـا
تـعـالـوا الى مـا تـعـلمـون فـأنـني
أرى الـدهـر لا ينجي من المـوت نـاجيا

شرح الابيات:

الحياة ذكريات، ومن الذكريات ما يُؤلم، فهو عندما رأى الآثار الباقيات، تذكر الماضي الجميل، وراح يدعو بالخير لتلك الآثار، ولتلك السنين الخوالي.

وقد يرغب الانسان في أشياء كثيرة، خاصة ما كان منها جميل وقد يتمنى أن تكون له، بعد أن ييأس من نوالها.

وفي يوم الفروق لم نترك نساءنا لأعدائنا، بل جعلنا ما بينهن وبينهم حواجز لا يستطيع أحد أن يغشاها.

فنحن أحرص الناس على عفاف نسائنا، ونربأ بأنفسنا أن نيالهن عار وخزي، ونحن أحياء.

لقد منعناهم من نسائنا، فلم تتحقق أحلامكم بأنكم سوف تنالون منهن ما ترغبون، من تقبيلهن والتمتع بهن.

ونحن في غمرة الحرب؛ لاحت لي فكرة، صممت أن أنقلها الى باقي الفوارس الذين باعوا أنفسهم للموت بغية النصر.

والفكرة هي، أن تتقابل الخيول وأن يكون الألتحام ما بين الفريقين، وبهذا سوف ننتصر عليهم لأننا أشجع منهم، وأكثر أستبسالا في الحروب.

وإن خيولنا خيول أصيلة فرؤوسها صغيرة تحكى رؤوس النساء وهن يحركن رؤوسهن . . وهذا من شيم الخيول الأصيلة - وكأنهن لم يجدن من يُفلّي لهن الرؤوس.

فهيا الى القتال، فالدهر لا يترك أحداً، فمن لم يمت بالسيف مات بغيره.

وقال يرثي مالك بن زهير العبسي، وكان من أصدقائه:

ألا يا غراب البين في الطيران
أعرني جناحاً، قد فقدت بناني
ترى هل علمت اليوم مقتل مالك
ومصرعه في ذلة وهوان
فأن كان حقاً فالنجوم لفقده
تغيب، ويهوي بعده القمران
لقد كان يوماً أسود الليل عابساً
يخاف بلاه طارق الحدثان
به كنت أسطو حينما جدت العدا
غداة اللقا نحوي بكل يماني
فقدهدّ ركني فقده ومصابه
وخلّى فؤادي دائم الخفقان

فـوا اسـقـا كيـف أنـثنى عـن جـواده
وما كـان سيـفي عـنـده وسـنـاني
رمـاه بـسـهـم المـوت رام مـصـمـم
فـيـالـيـته لمـا رمـاه رمـاني
وأقـسـم حـقـاً لـو بقـيت لـنـظرة
لـقـرت بهـا عيـنـاك حـين تـراني

القصيدة سهلة لا تحتاج الى شرح.

عنترة يفتخر ويشكو الكبر

أرى لي كـل يـوم مـع زمـاني
عتابـاً في الـبـعـاد وفي الـتـداني
يـريـد مـذلـتي ويـدور حـولي
بجيش الـنـائـبـات إذا رآني
كـأني قـد كـبرت وشـاب رأسي
وقـل تجـلدي ودهـى جـنـاني
ألا يـا دهـر يـومـي مـثـل أمسي
وأعـظم هـيـبـة لمـن الـتـقـاني

فـما أوهـى مـراس الحـرب ركـني
ولـكـن مـا تـقـادم مـن زمـاني
ومـا دانـيـتُ شـخص المـوت إلا
كـما يـدنـو الـشجـاع مـن الجبـان
وقـد عـلمـت بـنـو عـبس بـأني
أهش إذا دعـيـت الى الـطعـان
وإن المـوت طـوع يـدي إذ مـا
وصـلت بـنـانها بـالهـنـد واني
ونـعـم فـوارس الهـيـجـاء قـومـي
إذا عـلقـوا الأعـنَّـة بـالـبـنـان
هـمُ قتـلوا لـقـيـطاً وأبـن حـجـر
وأردوا حـاجـيـاً، وإبـني أبـان

سجايا كريمة

لا يحمـل الحقـد من تعلو بـه الـرتب
ولا ينـال العـلا من طبعـه الغـضب
ومـن يكـن عـبـد قـوم لا يخـالفـهـم
إذا جفـوه ويسـترضي إذا عـتـبـوا

قــد كنت فيــما مضى أرعـى جمــالهـم
والـيـــوم احمي حمــاهــم كـلما تــكـبــوا
لله در بـــني عــبس لــقــد نــســلوا
مـن الأكــارم مــا لم تـنـســل الـعــرب
إذا الـتقـيـت الأعــادي يــوم مـعــركــة
تــركـت جمعـهـم المـغــرور ينـتـهب
لي الـــنـفـوس ولـــلطير الـــلحــوم
وللوحش الـعـظام ولـلخيــالــة الـسلب
لا أبــعــد لله عــن عـيـــني غـطارفــة
إنـســاً إذا نــزلـــوا جِـفــاً أذا ركــبــوا
أســود غاب ولــكـن لا يـنـوب لهـم
إلا الأســنــة والهـنـديـة الـقـضــب
مـا زلت ألقي صدور الخيــل مندفعــاً
بــالــطعن حتى يضج السرج والـلبب
فــالــعـــمـى لــو كــان في أجـفــانهم نــظروا
والخرس لـو كـان في أفـواههم خـطبـوا
والنقــع يــوم طــراد الخيــل يشهــد لي
والضرب والــطعـن والأقــلام والكـتب

للشريف الرضي ـ رحمه الله ـ قصيدة تقارب في معانيها قصيدة عنترة، ومطلع القصدتين واحد.

لغير العلى مني القلا والتجنب
ولولا العلى، ما كنت في العيش أرغب
ملكت بسيفي فرصة ما أستفادها
من الدهر مفتول الذراعين أغلب
لئن تك كفي ما تطاوع باعها
فلي من وراء الكف قلب مذرب
وللحلم أوقات، وللجهل مثلها
ولكن أوقاتي الى الحلم أقرب
أصول على أبناء جنسي وأتقي
ويُعجم فيَّ القائلون وأعرب
يرون أحتمالي عفة فيريبهم
توفر حلمي، انني لست أغضب
تجافيت عن طبع اللئام لأنني
أرى البخل يشنا، والمكارم تطلب
وأعلم ان الجود في الناس شيمة
تقوم بها الأحرار والطبع يغلب

ثمن المجد

لأي حبيب يحسن الرأي والودّ
وأكثر هذا الناس ليس لهم عهد
أريد من الايام ما لا يضرها
فهل دافع عني نوائبها الجهد
وما هذه الدنيا لنا بمطيعة
وليس لخلق من مداراتها بدُّ
وكل قريب لي بعيد مودة
وكل صديق بين أضلعه حقد
يكلفني أن أطلب العز بالقنا
وأين العلا ان لم يساعدني الجدُّ
ولا مال إلا ما أفادك نيله
ثناء ولا مال ألا لمن له مجد
ولا عاش إلا من بصاحب فتية
غطاريف لا يعنيهم النحس والسعد
إذا طلبوا يوما الى الغزو شمروا
وإن ندبوا يوماً الى غارة جدوا
بهاليل مثل الأسد في كل موطن
كأن دم الاعداء في فهم شهد

معنى الكلمات:

بهاليل جمع بهلول السيد المطاع في قومه: الشهد: العسل
غطاريف: جمع غطريف السيد الشريف

سوق المنايا

إذا كشف الزمان لك القناعا
ومدّ اليك صرف الدهر باعا
فلا تخشى المنية والتقيها
ودافع ما أستطعت لها دفاعا
ولا تختر فراشاً من حرير
ولا تبك المنازل والبقاعا
وفي يوم المصانع قد تركنا
لنا بفعالنا خبرا مشاعا
أقمنا بالذوابل سوق حرب
وصيّرنا النفوس لها متاعا
حصاني كان دلال المنايا
فخاض غمارها،

وسيفي كان في الهيجا طبيباً
يداوي رأس من يشكو الصداعا
ولو أرسلت رمحي مع جبان
لكان بهيبتي يلقى السباعا
ملأت الأرض خوفاً من حسامي
وخصمي لم يجد فيها إتساعا
إذا الأبطال فرت خوف بأسي
ترى الأقطار باعاً أو ذراعا

فخر وأعتزاز

إذا أشتغلت أهل المبطالة بالكأس
أو أغتبقوها بين قسّ وشماس
جعلت منامي تحت ظل عجاجة
وكأس مدامي قحف جمجمة الرأس
وصوت حسامي مطربي، وبريقه
إذا أسود وجه الأفق بالنقع مقيْاسي
وإت دمدمت أسد الشرى وتلاحمت
أفرقها، والطعن يسبق أنفاسي

ومـن قـال إني أسـود لـيـعـيـبـني
أريـه بفعلي إنـه أكـذب الـنـاس
فسـيري مسير الأمن يـا ابنة مـالـك
ولا تجنحي بعـد الـرجـاء الى اليـأس
فـلو لاح لي شـخص الحـمام لـقيـتـه
يقلب شـديد البـأس، كـالجبـل الـراسي

وقد لاحظت - عزيزي القارىء - إن شعر عنترة سهل سلسل يكاد يسيل عذوبة، فهو لا يحتاج الى شرح، ومفرداته لا تحتاج، هي الاخرى الى شرح معـانيها، فكأنك أمـام مشعر معاصر لا شعر جاهلي..

بيت في الثريا

سـكـت فـغـرَّ أعـدائي الـسـكـوت
وظـنـوني لأهـلي قـد نـسـيـت
وكـيـف أنـام عـن سـادات قـوم
أنـا في فـضـل نـعـمـتـهم ربـيـت
وإن دارت بهـم خـيـل الأعـادي
ونـادوني، أجـبـت مـتى دعـيـت

بسيف حدُّه يزجي المنايا
ورمح صدره الحتف المميت
خلقت من الحديد أشد قلباً
وقد بلي الحديد، وما بليت
وإني قد شربت دم الأعادي
بأقحاف الرؤوس وماء رويت
وفي الحرب العوان ولدت طفلا
ومن لبن المعامع قد سقيت
فما للرمح في جسمي نصيب
ولا للسيف في اعضائي قوت
ولي بيت علا فلك الثريا
تخرُّ لعظم هيبته البيوت

عتاب وتحد

سلا القلب عمن كان يهوي ويطلب
وأصبح لا يشكو ولا يتعذب
صحا بعد وسُكرٍ وأنتحى بعد ذلة
وقلب الذي يهوي العلا يتقلب

ألى كـم أداري مـن تـريـد مـذلـتي
وأبـذل جهـدي في رضـاهـا وتغضب
عـبـيـلة أيـام الجـمال قـليـلة
لهـا دولـة مـعـلومـة ثـم تـذهـب
فلا تحـسـبي إني عـلى الـبـعـد نـادم
ولا الـقـلب في نـار الـغـرام مـعـذب
وقـد قلت إني قـد سلوت عـن الهـوى
ومـن كـان مثـلي لا يـقـول ويكـذب
هجـرتـك فـامضي حيث شئت وجـربي
من النـاس غـيري فـالليبيب يجـرب
وقـد فـاز من في الحـرب أصبح جـائـلا
يـطاعـن قـرنـاً والـغـبـار مـطنب
نـديمي - رعاك الله - قم غـن لي عـلى
كـؤوس المـنـايـا مـن دم حـين أشرب
ولا تـسـقـني كـأس المـدام فـأنها
يضـل بهـا عقـل الشجـاع ويـذهب

خاتمة:

اينما كان الأنسان، فهو مأخوذ بمظاهر البطولات، في كل جانب من جوانب الحياة.

فالأنسان هذا الكائن الصعيف أمام الطبيعة القاهرة يحاول أن يقنع نفسه، أنه لا يقل عنها عظمة، لأنه جـزء منها، فهي ببحارها الطاغية، وجبالها العاتية، وعواصفها قد تبدو له مخيفة مرعبة، ولكن يحاول منذ خلقه الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتفحص البطولات، ليخفف قليلا من مخاوفه من بعض مظاهر الطبيعة، أو ليقنع نفسه أنه لا يقل قوة وعظمة منها. فلهـذا كان التغني بالبطولات، والتباهي بالشجاعة والقوة، ديدن هذا الانسان، الـذي خلقه الله تعـالى، ليعارك وينـازل في أكثر من سـاحة، ليحافظ على وجوده وكيانه.

لهذا فقد أخترع الانسان قديماً آلهة وزعها على قوى هذه الطبيعة، فآله البحار، وآله العـواصف، وآله الجـبال.. الخ فحاول بذلك أن يدخل بعض الإطمئنان على نفسه، لأن هناك عمالقة من البشر وأنصاف الآلهة، هم المهيمنون على قوى هذا الكون العظيم.

وعندما تقدم الانسان في مجال الفكر، حاول أن يخفف

من تصوراته تلك، ويجعلها مقبولة، فأنتقل الى الاسطورة التي تحكى أنساناً وهبه الخالق قوة، هي أقرب الى الخيـال منها الى الواقع فأنتقل من الآلهة الى اشخاص، ولو أنه كان يخلع عليهم في بعض تصوراته صور الآلهة وجبروتها.

وكانت لكل أمة أساطيرها، التي كانت تتنقل من جيل الى جيل وهي تتغنى بأمجادها وأبطالها الذين حققوا لها تلك الامجاد ولعلهـا بذلـك أرادت ان تطمئن نفسهـا بأن الى جـانب قوى الطبيعة قوى اخرى ممثلة في بعض الابطال، الذين استطاعوا أن يقفوا بل يجابهوا الحياة، بكل ما تحمله من غموض وعنفوان.

وإن مجرد هذا الشعـور الذي أختـرعه، يبعث في كيـان الانسـان بعض الثقة بهـذه الاسرار والطلاسم التي تحيط بـه، والذي كان يجهلها. وبالتالي كان يخافها.

والأسطورة هذه، أو حكايات البـطولات، التي وصلتنا عن بعض الأمم هي جاجة نفسية شعورية، يهرع اليها الانسان في بعض عصوره، يرضي بها طموحه للوقوف أمام التحديات، ويجعلهـا تستجيب لكل رغبـاته وطمـوحـاتـه، أو عـلى الأقـل لإسكات المخاوف التي كانت تنتابه جراء ضعفه أمام سلطان الكون العظيم، الذي كان يجهل الكثير من ظواهره.

وقد تخلع الشعوب على من أشتهروا من أبنـائها بـالقوة

والسلطان رداء الاسطورة، وخوارق الاعمال، وهذا ما حصل لعنترة وخاصة في القصص الشعبي، فراح خيال العامة يرى في عنترة مخلوقاأسطوريا، قلما يكون له نظير في بأسه وشجاعته، فاذا ما حرك سيفه تطايرت الرؤوس، وتهاوت الاجساد، وحفلت البوادي بالوحوش، لتأخذ نصيبها على مائدة عنترة فلولاه لما تهيأ لها مثل هذا الطعام الوفير والخير الكثير.

أما كواسر الطير - هي الاخرى - فقد تجمعت، لتنقض على وجه قتيل لتقتلع منه عينه، أو على يد جريح، لتخلع من كفه إبهاماً أو بناناً.

أعود فأقول، ان العامة بحكم تخلفها، فهي تميل الى تضخيم الاشياء فهي ترفض ان تتصور الاشياء كما هي، بل لابد أن تضعها تحت مرآة التكبير لكي تراها في حجم اكبر وشكل أضخم، وهذا ما يشيع فيها تلك الروح الميّالة الى التعظيم والتضخيم.

فجماهير العوام تمر بدور عقلي طفولي، وقد ينجذب كل الاطفال وأنت تحكي لهم قصة شخوصها من الجان والمردة والوحوش الضخمة أما أذا قدمت له قصة تستند على أصول عقلانية فسرعان ما يجهلها ويطلب منك غيرها من القصص الخرافية، وكذلك العامة فلا يروقها الا القصص والحكايات التي

تشتمل على مفارقات غير معقولة.

فالعامة تتصارع في أعماقها أحلام الطفولة، ولو بلغ الواحد منهم مبلغ الرجال، فهم يميلون - في تصوراتهم - الى ما يميل اليه الاطفال لهذا نجد بوناً ساشعاً بين قصة عنترة عندما يرويها الادب معتمداً على العقل، وعندما ترويها العامة معتمدة على العاطفة لذا أردت أن أتعرض لمعرفة شخصية عنترة من خلال الادب الشعبي، كيف تصورها هذا الادب، وما هي الخطوط والالوان التي أختارها لرسم هذه الشخصية..؟

وقصة صاحبنا عنترة، هي أكبر القصص الشعبية وأكثرها رواجاً ولولا ان النُسّاخ قد عبثوا بهذا النص إرضاء لمشاعر العامة التي كانت تريد من عنترة المزيد من البطولات وخوارق الاعمال فكانت الركاكة والانتحال تبدو على الكثير من حوادث القصة، أقول لولا هذا، لكان لهذه القصة شأن آخر ومع كل ما تقدم فقد نالت حظوة عظيمة، فكانت - ومازالت - حتى يومنا هذا محور الاسمار عند العامة، وخاصة في ليالي رمضان المبارك، فكثير من المقاهي الشعبية تستعد لتقرأ على روادها في شهر رمضان قصة عنترة.

فكان الناس يلتمُون حول قارىء القصة «المّلة» وأحياناً يسمى «قصّخون» والذي كان يعتلي كرسياً مرتفعاً قليلا على

مجالس السامعين، وكثيراً ما كان يندمج مع حوادث القصة إندماجاً كلياً، فتبدو عليه الانفعات، بل أحياناً كان يشتم ويهدد ويتوعد، أذا ما وقع عنترة في مأزق أو وقع تحت كيد الكائدين.

وليس هذا الانفعال وقفاً على قارىء القصة، بل احياناً يمتد الى السامعين، فقد رأيت بعيني أن بعض المداومين على سماع هذه القصة، كان يأتي بالمشروبات والحلويات ليوزعها عندما يصل القارىء الى زواج عنتر بحبيبته وابنة عمه «عبلة» وكان البعض يهزج وكأنه في زفاف صديق عزيز على نفسه.

ومن المعروف ان بعض الحوادث - التي كانت تروى في هذه القصة - مصطنعة، وبعيدة عن حياة عنترة، إنما أخترعت وزيدت للترويح عن النفوس ولأشباع رغبات العامة، التي كانت تطلب المزيد من المبالغات.

وفي رأي إن القصاص أضطروا احياناً لأختراع بعض الحوادث لكي يملأوا الوقت، الذي كان يستوعب شهر رمضان بأكمله. والمشهور إن هذه القصة الشعبية وضعت في عهد الفاطميين وبالأخص عهد العزيز بالله الفاطمي. وإن واضعها هو يوسف بن أسماعيل شيخ القصاصين آنذاك.

ويقال أن السبب في كتابة هذه القصة من يوسف بن أسماعيل إن العزيز طلب منه أن يكتب قصة تُلهي العامة

وتبعدهم عن التكلم في ريبة حصلت في قصر الخلافة، وهذا هراء لا يصدق بل الواقع والقريب الى المنطق، إن الفاطميين كانوا أصحاب دعوة فهم بأمس الحاجة الى من ينشر دعوتهم هذه بين العامة والخاصة، خصوصاً إنهم كانوا ينتهون في نسبهم الى بيت النبوة الكريم، ويجب أن لا ننسى أن خصومهم السياسيين شكوا في نسبهم هذا وشككوا فيه، فالمطلوب منهم أذن أن يذودوا عن هذا النسب الذي عليه قامت دولتهم، وأن يستعملوا كل أساليب الدعاية، ليكسبوا الناس الى جانبهم.

لهذا شجعوا القصة والقصاصين، لأن هؤلاء القصاصين كانوا يقومون بالدعوة والدعاية خلال تلك الفصص التي كانوا يكتبونها، أو يقرأونها على العامة.

وانه - زيادة على ما تقدم - لأرى أن ظهور هذا النوع الأدبي الجديد في القرن الرابع الهجري شيء طبيعي جداً وظاهرة أدبية دعا الى ظهورها العصر الذي بلغت فيه الاداب والعلوم والفلسفة ذروة أمجادها.

أذن، فميلاد القصة كان ميلاداً طبيعياً، ولو قدر للأدب أن ينمو خلال القرون التي تلت القرن الرابع الهجري، لكنا قد رأينا أفاقاً أخرى للقصة، قد تكون شبيهة أو قريبة من آفاق القصة الحديثة ولكن مما يؤسف له إن الادب أصابته أنتكاسات

بعد هذا القرن فنشأ عن تلك الأنتكاسات ذبول وخمول في مجالات القصة، أنحسرت أخيراً في حكايات أو مقامات الحريري والهمداني المعروفة. إذن هذه هي الاسباب التي جعلت القصة أن تزدهر في القرن الرابع الهجري، وفي عهد الفاطميين وأروقتهم الادبية فليس من المعقول أن تكون قصة عنترة قد دونت بطلب من الخليفة الفاطمي العزيز. بل إنها كانت مولوداً طبيعياً لعصر بلغت فيه الآداب ذروتها والفلسفة غايتها.

ومما يؤيد هذا الرأي ان كاتب هذه القصة، الشيخ يوسف، كان واسع الرواية، عظيم الدراية بأخبار العرب وحروبهم ووقائعهم وكان مشهوراً بالنوادر والنكات.

وكان ممن أخذ عنهم أبو عبيدة ونجدين بن هشام، وجهينة اليماني المعروف بجهينة الأخبار.

فكان صاحبنا مؤهلا أجتماعياً وشخصياً لكتابة مثل هذه القصة التي نجحت نجاحاً باهراً، فأقبل الناس على قراءتها، والعامة على سماعها.

وقد أحتلت هذه القصة سبعين جزءاً أو باباً، فكانت متناسقة فيما بينها، متآلفة لا متنافرة، فكان كل جزء متصلا عضوياً بالجزء الذي يليه، وهذا مما جعل العامة يتعلقون بها أشد التعلق.

وهي فكرة ذكية وقدرة أدبية، أذ جعلت القارىء مشدوداً الى القصة من خلال هذا التلاحم العضوي ما بين أجزاء القصة، تماماً كما يفعل القصاصون المحدثون، عندما ينشرون اجزاء قصصهم تباعاً،فيقفون في نهاية كل جزء منها على حدث مشوق ومثير، حتى يجعلوا القارىء مشدوداً الى الاجزاء التي تلي هذا الجزء.

ومصداقاً لذلك ما أورده «آغا ابيكارس» في كتابه «مُنية النفس في أسفار عنتر عبس». قال «بلغت عن رجل من أحل حمص، كان يحضر كل ليلة الى حلقة القصاص، يسمع فصلا من قصة عنترة، ففي إحدى الليالي تأخر في حانوته الى ما بعد المغرب، فحضر الى هناك بدون عشاء، وكان في تلك الليلة سياق حرب عنترة مع كسرى، فقرأ القصاص، الى أن وقع عنترة في الاسر عند الفرس، فحبسوه ووضعوا القيد في رجله، وهناك قطع الكلام وأنفضت الناس فدخل على الرجل أمر عظيم، وأسودت الدنيا في عينيه، وذهب الى بيته حزيناً كئيباً، فقدمت له زوجته الطعام فرفس المائدة برجله، فتكسرت الصحون، وأنصب مافيها على فرش البيت، وشتم المرأة شتماً قبيحاً، فصادمته في الكلام فضربها ضرباً شديداً، وخرج يدور في الاسواق، وهو لا يقرّ له قرار، ثم غلب عليه الحال، فذهب الى بيت القصاص، فوجده نائماً، فأيقظه وقال له: قد وضعت الرجل في السجن

مقيداً، وأنت مستريح البال. فأرجوك أن تكمل لي هذا السياق الى أن تخرجه من السجن، فأنني لا أقدر أن أنـام، ولا يطيب عيشي مادام على هذه الحالة، وأنظر ما تجمعه من الجمهور في ليلتك، فأنا أعطيك إياه الآن، وأخذ القصاص الكتاب وقرأ له باقي السياق الى أن أخرج عنترة من السجن فقال له: أقرّ الله عينيك وأراح بالك، الآن طابت نفسي وزالت همـومي، فخذ هـذه الدراهم ولـك الفضـل، ثم أنصرف الى بيتـه مسروراً، وطلب الطعام، وأعتذر لزوجته أن القصاص وضع له القيد في رجل عنترة وهي جاءته بالطعام ليأكل، فكيف يمكنه أن يذوق طعاماً وعنترة محبوس مقيد؟ وقال: وأما الآن فقد ذهبت الى بيت القصاص، وقرأ لي الحديث الى أن أخرجه من السجن والحمد لله فقد طابت نفسي، فأتي ما عندك من طعام، وأعذريني عما بدر مني».

يبدو من هذا السرد، إن الكاتب كان قـد رتب فصول القصة ترتيباً قوياً ومترابطاً، كما ذكرنا سابقاً.

وقد أورد كاتب القصة خلال قصته هذه كثيراً من أشعار العـرب، ومن قصائـد عنترة، ولكن ممـا يؤسف لـه ان جهـل النُسّاخ، وقراءة أنصاف المثقفين للنصوص الادبية قد غيرت بل افسدت بعض جوانب الرواية، فقد دخلها التشويه وأعـتراها

التحوير، كما وردت خلال القصة أشعار لم يقلها عنترة إنما هي أضيفت الى القصـة، وأقحمت فيها أقحـاماً، كـل ذلك لكي يصلوا ببطلهم عنترة الى قمة المجد وذروة الشجاعة والبسالة هذا بالاضافة الى موافقة الانسانية الاخرى فكانوا ينتحلون الاشعار وينسبونها الى عنترة، واحياناً كانوا يخترعون الاشعار، ويردونها الى عنترة، لذا فقد كثرت السقطات، وشاعت الاخطاء في اللغة والعروض والقافية.

وقد أحبَّ الشيخ يوسف، أن يكون لقصته رصيد أدبي ضخم، كي يتهافت عليها القراء، ويقبل على أقتنائها الادباء فنسبها الى الاصمعي، المشهور بصحة الرواية والتثبيت من الاخبار، فلا يروى جزافاً كما يفعل غيره من الرواة في زمانه، بل كان عالماً ضليعاً ثبتاً، دقيق الملاحظة وقيل ان الذي كتب هذه القصة هو الشاعر الطبيب المؤيد محمد الصائغ الجزري، قال هذا الأستاذ كوسين برسيفال الذي طبع هذه القصة ملحصاً في باريس.

ولكن المشهور ان كاتب هذه القصة أو السيرة هو يوسف بن اسماعيل، المتقدم ذكرهُ.

قيمة هذه القصة

أعتبر بعض النقاد إن سيرة عنترة هذه، إنما هي ملحمة من ملاحم العرب، لأنها أشتملت على كل ما اشتملت عليه الملاحم الكبرى، التي أشتهرت في غير أرض العرب وقد أتخذ كاتب هذه القصة حرب داحس والغبراء المجال الحيوي، لأظهار فتوة عنترة وشجاعته وبطولته.

هذه الحرب الضروس، الذي استعر لظاها ما بين قبيلتي عبس وذبيان، فسجلت القصة بطولة عنترة ورجولته وفصاحته وكرمه ونجدته وحبه لأبنة عمه عبلة.

وقد سماها المرحوم أحمد حسن الزيات «ألياذة العرب» ولو لم تكن الحرب قد قامت بين قبيلتين عربيتين، فلو كانت بين العرب وقوم آخرين لوجب علينا أن تطلق على عنترة بطلا قومياً وأن تبجّله، كما بجّلت الكثير من الشعوب ابطالها ولكن - مما يؤسف له - ان الحرب التي خاضها عنترة كانت حرباً بين الأخوة والأشقاء.

ولقد كان الشاعر الفرنسي الكبير «لاوتين» معجباً بشخصية عنترة، التي تعرف عليها من خلال هذه القصة، التي ترجمت واختصرت مراراً الى اللغة الفرنسية.

والقصة على ما فيها من تلفيق وحشو ومبالغات في الاخبار تعتبر أثراً هاماً من مآثر العرب في عالم الأدب.

ولقد أعجب بها الغرب إعجاباً كبيراً، فترجمت الى لغات شتى، كما طبعت عن طبعات، في القاهرة وبيروت.

كما مثلت على المسارح، وظهرت على شاشة السينما، في فيلمين هما عنترة وعبلة، ومغامرات عنتر وعبلة.

وقد ظهر الى جانب هذه القصة الكثير من القصص وكتب الاسمار وقد أحصاها محمد بن أسحاق النديم، فبلغت زهاء ثمانين ما عدا الذي ترجم عن اللغات الاخرى وهو عدد كبير أضعاف ما كتب منه في العربية.

لقد جلبت هذه السيرة أنظار الادباء بل العامة، فرغبوا في تشذيب أخبارها وتصحيح أخطائها، وبالتالي ليخلعوا عليها الرداء الادبي اللائق بها.

ومن أبرز هؤلاء الذين تصدر لهذا العمل الرائد الاستاذ محمد فريد أبو جديد، الذي حاول أن يعيد القصة من جديد في ثوب شفاف، وأن ينفض عنها غبار الزمن، ويزيل عنها ما أعتراها من أخطاء النُسّاخ وتصحيفهم.. فوضع كتابه «أبو الفوارس» ثم عاد فوضع كتابه الثاني «عنترة بن شداد» وقد نشرهما في سلسلة إقرأ التي تصدرها دار المعارف المصرية، وإنّا

لمنتظرون ممن سوف يشمّر عن ساعد الجد من أدبائنا. فيتفرغ لهذا الأثر الأدبي الحليل ليصوغه في قوالب عصرية مشوقة، وان يجرد القصة من فضول القول وهزيل العرض، أن من يتصدر لهذا العمل سوف يقدم خدمة جلى للادب العربي.

وأخيراً لم ينس شوقي العظيم عنترة، ولا قصته الشيّقة فاحب أن يهدي للعربية سفراً جليلا ممثلا في مسرحيته الرائعة «عنترة».

وقد أبدع في عرضها أيما أبداع، كما نجح في تحليل شخصية عنترة، عارضاً حب عنترة لأبنة عمه عبلة عرضاً عاطفياً شاعرياً، في بيان أنيق.

ولولا غلبة طابع الشعر الغنائي على المسرحية، الذي كان يستنفذ وقتاً طويلا في الحوار، لكانت مسرحية شوقي من أضخم ما قدمه من عمل مسرحي في ادبنا الحديث.

وأخيراً فقد كان لهذه القصة الشعبية صدى في كل طبقات الشعب، فقد أهتم بها الخاصة، كما راح يلهج بذكرها العامة بالاضافة انها من أكبر وأطول القصص الشعبية في تاريخ آدابنا.

أما ميلاد هذه القصة أو السيرة، فكان ارهاصاً بميلاد نوع جديد من الانواع الادبية، لو قدر للأدب أن يستمر في تطوره.

ولكن مما يؤسف له، ان الحركة الادبية والفكرية بصورة

عامة، بدأت بعد القرن الرابع تنحدر في حين إنها بلغت القمة في هذا القرن.

وفي النهاية أستطيع أن أجزم، ان هذه القصة قد تركت وراءها دوّياً هائلا، تركت من يدافع عنها ويشيد بذكرها كما أوجدت بعض الذين هاجموا القصة هجوماً عنيفاً بحجة انها أساءت الى الشعر والادب، بما نسبته من أشعار ركيكة الى شاعر فذ كعنترة، كما تطرقوا الى تلك المبالغات التي احتوتها، والتي لا يمكن ان تخضع لمنطق العقل.

ونحن قد اسلفنا القول بأن جمهور العامة يميل الى سماع المفارقات والمبالغات من خلال قراءاتهم للقصص والسير.

مراجع البحث

١ ـ ديوان عنترة تحقيق عبدالمنعم عبدالرؤوف شلبي
٢ ـ فارس بني عبس حسن عبدالله الموشي دار المعارف بمصر
٣ ـ مصادر الشعر الجاهلي، وقيمتها التاريخية ـ ناصر الدين الاسد ـ دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٦٢
٤ ـ من حديث الشعر والنثر ـ د. طه حسين، مطبعة الصادي القاهرة
٥ ـ تاريخ الادب العربي حنا الفاخوري منشورات مكتبة المدرسة
٦ ـ حديث الاربعاء د. طه حسين دار المعارف بمصر
٧ ـ في الأدب الجاهلي د. طه حسين دار المعارف بمصر
٨ ـ العصر الجاهلي د. شوقي صيف دار المعارف بمصر
٩ ـ الشعر الجاهلي محمد النويهي الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة
١٠ ـ العرب قبل الاسلام جورجي زيدان دار الهلال
١١ ـ ديوان النابغة الذبياني، الشيخ عبدالرحمن سلام المكتبة الاهلية بيروت ١٩٢٩
١٢ ـ الجاهلية. د. يحيى الجبوري مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨
١٣ ـ الاغاني أبو الفرج الاصبهاني ط ـ دار الكتب، القاهرة

١٤ ـ البيان والتبين للجاحظ. تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخاجي القاهرة ١٩٦٨
١٥ ـ التكسب بالشعر د. جلال الخياط ـ دار الآداب بـيروت ١٩٧٠
١٦ ـ الحيوان للجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مطبعة اليابي الحلي، القاهرة ١٩٤٥
١٧ ـ الخصائص، أبن جنى، تحقيق محمد علي النجار مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٥٥
١٨ ـ دراسات بلاغية ونقديـة، د. أحمد مـطلوب، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقيةد دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٠
١٩ ـ الشعر والشعراء ابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٦٦
٢٠ ـ الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي د. محمـد حسين الاعرجي منشورات وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٨
٢١ ـ العمدة في محاسن الشعـر وآدابه لأبن رشيق القـيرواني. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة حجازي القاهرة ١٩٣٤

٢٢ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، للثعالبي ، شرح محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٦

٢٣ ـ وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، لأبن خلكان تحقيق د. أحسان عباس ، دار صادر دار الثقافة بيروت ١٩٦٨ .

٢٤ ـ طبقات مخمول الشعراء : محمد بن سلام الحمجي ، شرح محمود محمد شاكر مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٧٤ .

الفهرس

تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع.

م. سرمد

حاتم شكر السامرائي

هـذا الكتب ـ عزيـزي القارىء ـ أعـد ليكـون وجبـة شهية ودسمة، لمن يرغب أن يطلع على الأدب العربي ورجالاته عن كثب.

فهو يزود القارىء بمعلومات عن الشاعر وعصره، وينابيع شاعريته، التي استقى منها صوره الشعرية . .

فهو وجبة طـازجة، تضـاف الى مائـدة المثقف، ورؤى جديدة، يستعين بها محبو الأدب والطلبة، في إغناء معلوماتهم، وصقل أدواتهم الأدبية . .

الناشر

مطبعة وأوفسيت

بغداد . شارع المتنبي